هذا برغم الحصار؟ حفرت ثماني وثلاثون بئرا لتأمين المياه، كان هذا اول شيء عملناه اثناء الحصار، وعندما ضربت الاذاعة سعينا وراء تشغيل اذاعة قديمة مستعملة، ظل الشباب يجرون عليها التصليحات حتى تمكنوا من تشغيلها. حافظنا على استمرار طباعة الجرائد، لاهمية دورها التعبوي والاعلامي. اضطررنا لتأمين المازوت للمطابع والمخابز والمستشفيات وغرف العمليات وأجهزة الارسال على حد سواء. الافران عملت بلا توقف. تعبت بيروت من قلة الخبز يوما واحدا خلال الحرب كلها. واذكر انني عقدت اجتماعاً في احدى المرات مع كادر احد الافران في بيروت. قالوا لي: توجد افران في المناطق كذا وكذا. قلت، لتفتح هذه الافران فوراً. قالوا: «لكن من سيعمل فيها؟ قلت: «الطلبة... طلبة الجامعات». وفي احدى المرّات زرت أحد الافران وكان احد هؤلاء الطلبة يعمل في الفرن. سألته: كم ساعة تعمل هنا؟». قال: ثماني ساعات، قلت له: «أليس بالامكان جعلها اثنتي عشر ساعة». قال: يا أبا عمّار جرّب أنت العمل في الفرن وسوف ترى بنفسك ان كان بالامكان المكوث هنا لمدة ساعة واحدة. وتعرف يا ابا عمار أنها المرة الأولى في حياتي التي أعمل فيها في فرن».

الهلال الأحمر، نموذج آخر على الديناميكية الفلسطينية في الحرب؛ انه لمن الاعجاز حقاً أن يتمكن الهلال الأحمر من اقامة مستشفيات ميدانية تحت الأرض مع تأمين الأدوية والمعدات لها. الاتصالات أيضاً، كنا في ظل الحصار اكبر مركز للاتصال في العالم. كنا نتصل بالقيادات السوفياتية والصينية، والفرنسية، والقيادات العربية والأمم المتحدة، وبكاسترو، رئيس دول عدم الانحياز. وكانت أجهزة اتصالات القيادة الفلسطينية تصدر يوميا ما معدله ٥٠ ــ ٦٠ برقية ورسالة، وتتلقى رقما مماثلا. وبعض التقارير كان يزيد على العشر صفحات، فضلا عن قسمي ترجمة جاهزين للاستقبال والارسال. وقد أشرف على مجالي الأخبار والاتصالات الدولية اثنان من الدكاترة، كانت مهمتهما مواصلة الاتصالات عبر التلكس والوسائل الأخرى. أجهزتنا عملت خلال الحرب بتناغم مذهل، كما الكمبيوتر.

تحصين بيروت

يُذهل الناس لماذا «استمتناه على خلده... خمسة أيام وخلدة تقاتل. قلنا لقيادة خلده، للعقيد عبد الله صيام، رحمة الله عليه. قلنا له: «خلده يجب أن تصمد الى حين استكمال تحصينات بيروت، لم نكن قد حصّنا بيروت من قبل. فبيروت لم تكن ضمن مسؤولياتنا، بل مسؤولية قوات الردع العربية. قاتلنا ذلك القتال البطولي الشرس في خلده على مدى خمسة أيام متواصلة. خمسة أيام على مثلث خلده، ما هي خلده؟ ماذا بين الدوحة وخلده؟.. لا مساكن هناك.. هي منطقة مفتوحة من جهة البحر. والطرق فيها عبارة عن خلاء. ومع ذلك قاتلنا فيها لخمسة أيام متواصلة.

هذه الأيام الخمسة صنعت معجزة تحصين الخطوط الأمامية لبيروت، الشواطىء وخطوط التماس التقليدية مع المناطق الشرقية منها، خمسة أيام فقط للتحصين الأولي السريع. ثم بدأنا بعد ذلك يوميا، نزيد من تحصين المدينة.

وهنا أود الاشارة الى تقرير كتبه الفرنسيون عندما استلموا منا المدينة من بين من استلم. لقد أحضروا فرقة مهندسين من الجيش الفرنسي، كتبت هذه الفرقة تقريرا لها